﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: 126 - 128]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

مواصلةُ العطف، بإضافةِ توجيهاتٍ وأحكامٍ وتشريعاتٍ جديدة

يقول ابن عاشور: هذِه الآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِما قَبْلَها أتَمَّ اتِّصالٍ، وحَسْبُكَ وُجودُ العاطِفِ فيها، وهَذا تَدَرُّجٌ في رُتَبِ المُعامَلَةِ مِنْ مُعامَلَةِ الَّذين يُدعَونَ ويوعَظون إلَى مُعامَلَةِ الَّذينَ يُجادَلونَ، ثُمَّ إلَى مُعامَلَةِ الَّذينَ يُجازَوْنَ على أفْعالِهم، وبِذَلِكَ حَصَلَ حُسْنُ التَّرْتيبِ في أُسْلوبِ الكَلامِ[1].

يقول البقاعيُّ: "ولما بيَّن أمرَ الدَّعوة وأوضح طرقَها، وقدَّم أمرَ الهجرة والإكراه في الدين والفتن فيه، المشير إلى ما سبب ذلك من المحن والبلاء من الكفار ظلمًا، وختم ذلك بالأمر بالرفق بهم، بعد ما خصّه صلى الله عليه وعلى آله وسلّم به منَ الأمر بالرفق، بالأمر لأشياعه بالعدل والإحسان - كما تقدَّم - ولو مع أعدى الأعداء، والنَّهي عن مجازاتهم إلا على وجه العدل؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾"[2] ثمَّ أوصى النَّبيَّ ﷺ بما يسرّي عن قلبه ويثبِّتُه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَاقَبۡتُمۡ﴾: العَيْنُ والقافُ والباءُ أصْلانِ صَحيحانِ: أحَدُهُما يَدُلُّ على تَأْخيرِ شَيْءٍ وإتْيانِه بَعْدَ غَيْرِه، والأصْلُ الآخَرُ يَدُلُّ على ارْتِفاعٍ وشِدَّةٍ وصُعوبَةٍ، فالأوَّلُ: كُلُّ شَيْءٍ يَعْقُبُ شَيْئًا، فهو عَقيبُهُ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 335.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 281 - 282.

كَقَوْلِكَ: خَلَفَ يَخْلُفُ، بِمَنْزِلَةِ اللَّيْلِ والنَّهارِ؛ إذا مَضَى أحَدُهُما عَقِبَ الآخَرِ، وهُما عَقيبانِ، كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما عقيبَ صاحبه[1]، ومن الأصل عاقبت الرّجل: جزيته بما فعل سوءًا، وأصل ذلك أنَّك جعلت ثمرة عمله تَعْقُبُه، أي: تلحقه لا يفوتها، وهي في الأصل عامة في الخير والشرِّ، كما قالوا: اعتقبتُ الرجلَ خيرًا أو شرًّا بما صنع، أي: كافأته به، ثم خُصَّت بالشّرِّ من المعاناة (المفاعلة) في إلحاقها به، ولا يكون ذلك إلا في الشَّرِّ، وبهذا المعنى جاء كلٌّ من (عاقَب)، (عوقب)، (عقاب) ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾، والملاحقة فيها واضحةٌ[2]، والعاقِبةُ إطلاقها يختصُّ بالثَّواب نحو: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83]، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ [الروم: 10]، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: 17] يصحُّ أن يكون ذلك استعارةً من ضدِّه، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: 21]، والعُقوبَةُ والمعاقبة والعِقاب يختصُّ بالعذاب[3]، والمعنى: وإن أردتم المعاقبةَ، على طريقة قول الطَّبيبِ للمحتمي: إن أكلتَ؛ فكُلْ قليلًا[4].

2) ﴿تَكُ﴾: الكافُ والواوُ والنّونُ أصْلٌ يَدُلُّ على الإخْبارِ عَنْ حُدوثِ شَيْءٍ، إمّا في زَمانٍ ماضٍ أوْ زَمانٍ راهنٍ، يَقولونَ: كانَ الشَّيْءُ يَكونُ كَوْنًا؛ إذا وقَعَ وحَضَرَ، قالَ اللّهُ تَعالَى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: 280]، أيْ: حَضَرَ وجاءَ، ويَقولونَ: قد كانَ الشِّتاءُ، أيْ: جاءَ وحَضَرَ، وأمّا الماضي؛ فقَوْلُنا: كانَ زَيْدٌ أميرًا، يُريدُ أنَّ ذَلِكَ كانَ في زَمانٍ سالِفٍ[5]، وذكر الرّاغب أنَّ (كان): عبارة عمّا مضى من الزمان، وفي كثير من وصف اللّه تعالى تنبئ عن معنى الأزليَّة، قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: 27] وما استعمل منه في جنس الشيء متعلِّقًا بوصف له هو موجود فيه، فتنبيه على أنَّ ذلك الوصف لازمٌ له، قليلُ الانفكاك منه، نحو قوله في الإنسان: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: 67]، وقوله في الآية: ﴿وَلَا تَكُ﴾ (لا) ناهيةٌ، و(تك) فعلٌ مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه السُّكونُ المقدّر على النّون المحذوفة للتَّخفيف[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عقب).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عقب).
(3) الراغب، المفردات: (عقب).
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 152.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كون).
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 386.

3) ﴿ضَيْقٍ﴾: يقول ابن فارس: الضّادُ والياءُ والقافُ كَلِمَةٌ واحِدَةٌ تَدُلُّ على خِلافِ السَّعَةِ، وذَلِكَ هو الضّيقُ؛ والضَّيقَةُ: الفَقْرُ، يُقالُ: أضاقَ الرَّجُلُ: ذَهَبَ مالُهُ، وضاقَ؛ إذا بَخِلَ، وشَيْءٌ ضَيْقٌ، أيْ: ضَيِّقٌ، والبابُ كُلُّهُ قياسٌ واحِدٌ[1]، الضّيقُ: ضدُّ السَّعة، ويقال: الضَّيْقُ أيضًا، والضَّيْقَةُ يستعمل في الفقر والبخل والغمِّ ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود: 77]، أي: عجز عنهم، وقال: ﴿وَضَآيِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ [الشعراء: 13]، ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: 125]، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: 25][2]، ومعنى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ أي: شدّة وحرج[3].

4) ﴿يَمْكُرُونَ﴾: الميمُ والكافُ والرّاءُ كَلِمَتانِ مُتَباينَتانِ: إحْداهُما المَكْرُ: الاحْتيالُ والخِداعُ، ومَكَرَ به يَمكُرُ، والأُخْرَى المَكْرُ: خَدالَةُ السّاقِ[4]، والمعنى المحوريُّ لهذه المادَّة: اختزانُ رقيقٍ أو لطيفٍ في الأثناء، فتكتنز به، ولا يبرز متميِّزًا، كاختزان الحبوب في البيوت، والماء في أثناء الأرض، والشّحم في السّاق الملتفَّة، والندى في الرُّطَبة الصُّلْبة، والمَغرة في أثناء الثّوب أوِ اللّون فيها، ومنه المَكْرة بالفتح: نَبْتَة غُبيراء مُلَيحاء تُنْبِتُ قَصَدًا، وإنَّما سُمّيت بذلك لارتوائها ونجوع السّقي فيها، ومنه المكر[5]، وعند الرّاغب: المَكْرُ: صرف الآخر عمّا يقصده بحيلة، وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يُتحرّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ [آل عمران: 54]، ومذموم، وهو أن يُتحرّى به فعلٌ قبيح، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43]، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: 30][6]، والمراد بمكرهم هنا: فعلُهم وعملُهم[7] السّيِّئ.

5) ﴿مُّحْسِنُونَ﴾: الحاءُ والسّينُ والنّونُ أَصْلٌ واحِدٌ، فالحُسْنُ ضِدُّ القُبْحِ، يُقالُ: رَجُلٌ حَسَنٌ وامرَأَةٌ حَسْناءُ وحُسّانَةٌ، والمَحاسِنُ مِنَ الإنْسانِ وغَيْرِه: ضِدُّ المُساوئ[8]، والمعنى المحوريُّ لمادَّة (حسن): نَقاءُ الشَّيء ورقَّته بخروج الخَشن أو الغليظ - الذي يخالطه،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضيق).
(2) الراغب، المفردات: (ضيق).
(3) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 452.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مكر).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكر).
(6) الراغب، المفردات: (مكر).
(7) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/ 595.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسن).

فيَشوبُ رِقَّتَه - منه، ومن هذا عبَّر التركيب عن الحُسن، أي: جمال المنظر ونقائه ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: 52] نقاؤهن، والمعنويّ منه ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: 76] ثم عُمِّم في الطَّيب الرقيق من الصُّحبة: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: 69]، والنِّعمة: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: 11]، والعمل ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ [المائدة: 93]، ومن هذا: الحسَنَةُ ضدُّ السيئة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: 160]، والقول: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تركتِ الآيةُ للمسلمين تقديرَ ردودِ أفعالهم، إزاءَ ما يقعُ عليهم، موصيةً إيّاهم بالصَّبر والإحسان

والمعنى الإجمالي للآيات: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ - أيها المؤمنون - من ظلمكم؛ فلكم في العقاب إحدى طريقين: أوَّلًا: أن تعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمُكم من العقوبة، وثانيًا: أن تصبروا، وتتجاوزوا عمّا صدر منه من الذَّنب، وتصفحوا عنه، وتحتسبوا عند الله ما نالكم به من الظُّلم، وتكلوا أمركم إليه، والله يتولّى عقوبته، والصَّبرُ خيرٌ للصّابرين من الانتقام؛ لأنَّ الله ينتقم من الظّالم بأشدَّ مما كان ينتقم منه لنفسه، ثمَّ أمر رسوله بالصّبر صراحة بعد أن ندب إليه غيره تعريضًا؛ لأنَّه أولى النّاس بعزائم الأمور، لزيادة علمه بشؤونه تعالى، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، أي: واصبر على ما أصابك منهم من أذًى في الله، ومن إعراض عن الدّعوة، وما صبرك إن صبرت إلّا بمعونة الله وحسن توفيقه، ومشيئته المبنية على الحِكَم البالغة الَّتي تنتهي إلى عواقبَ حميدةٍ، وفي هذا تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ، وتهوينٌ لمشاقِّ الصَّبر عليه، وتشريفٌ له بما لا مزيدَ عليه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: ولا تحزن على إعراض المشركين الذين يكذِّبونك، وينكرون ما جئتهم به ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، أي: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل بنسبتك إلى السِّحر والكهانة والشّعر؛ احتيالًا وخديعة لمن أراد الإيمان بك، وصدًّا عن

سبيل الله، فالله كافيك أذاهم، وناصرك عليهم، ومؤيِّدك ومظهرك عليهم، فمهما حاولوا إيصال الأذى بك، فإنَّ الله مبعدُه عنك، ومحبطٌ ما صنعوا، وهم لا يشعرون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، أي: إنَّ الله مع الَّذين اتقوا محارمه، فاجتنبوها خوفًا من عقابه، والَّذين يحسنون رعايةَ فرائضه، والقيامَ بحقوقه، ولزومَ طاعته فيما أمرهم به، وفي ترك ما نهاهم عنه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

فائدةُ عطْفِ الآيات على سابقتها:

اقتضَى العطفُ بين الآيات التَّشريكَ في الأحكام والتَّغايرَ في الماهيَّة بينها

الواو في قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ عاطفة، عُطفت بها الجملة على قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾، ولا صحَّة لما قيل من أنَّها منفصلةٌ عن سابقتها، وأنَّها نزلت في شأن التَّمثيل بحمزة في يوم أحد، فالرِّواياتُ لم تصحَّ في ذلك.

يقول الرّازي: "وأقولُ: إنَّ حَملَ هَذِه الآيَة على قِصَّةٍ لا تَعَلُّقَ لَها بِما قَبْلَها يوجِبُ حُصولَ سوءِ التَّرْتيب في كَلام الله تَعالَى، وذَلِكَ يُطْرِقُ الطَّعْنَ إلَيْه، وهو في غايَةِ البُعْد، بَل الأصْوبُ عِنْدي أنْ يُقالَ: المُرادُ أنَّهُ تَعالَى أمَرَ مُحَمَّدًا ﷺ أنْ يَدْعو الخَلْقَ إلَى الدّين الحَقِّ بِأحَدِ الطُّرُقِ الثَّلاثَة، وهيَ الحِكْمَةُ والمَوْعِظَةُ الحَسَنَةُ، والجِدالُ بِالطَّريقِ الأحْسَنِ، ثُمَّ إنَّ تِلْكَ الدَّعْوةَ تَتَضَمَّنُ أمرَهُم بِالرُّجوعِ عَنْ دينِ آبائِهم وأسْلافِهم، وبِالإعْراضِ عَنْهُ والحكم عَلَيْه بِالكُفْرِ والضَّلالَةِ وذَلِكَ مِمّا يُشَوِّشُ القُلوبَ ويوحِشُ الصُّدورَ، ويَحْمِلُ أكْثَرَ المُسْتَمِعينَ على قَصْدِ ذَلِكَ الدّاعي بِالقَتْلِ تارَةً، وبِالضَّرْبِ ثانيًا، وبِالشَّتْمِ ثالِثًا، ثُمَّ إنَّ ذَلِكَ المُحِقَّ إذا شاهَدَ تِلْكَ السَّفاهاتِ، وسَمِعَ تِلْكَ المُشاغَباتِ؛ لا بُدَّ وأنْ يَحْمِلَهُ طَبْعُهُ على تَأْديبِ أولَئِكَ السُّفَهاءِ

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 14/ 163.

تارَةً بِالقَتْلِ وتارَةً بِالضَّرْبِ، فعِنْدَ هَذا أمَرَ المُحِقّينَ في هَذا المَقامِ بِرِعايَةِ العَدْلِ والإنْصافِ وتَرْكِ الزِّيادَةِ، فهَذا هو الوجه الصَّحيحُ الَّذي يَجِبُ حَملُ الآيَةِ عَلَيْه"[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجملة الشَّرطيَّة:

الجملةُ الشَّرطيَّةُ أقوى في دلالتها على مرادها من الجملة الخبريَّةِ

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ جاءت الجملة شرطيَّةً، مبدوءةً بـ(إنْ) التي تأتي في الشَّرط نادرِ الوقوع، أو فيما يُراد له أن يكون كذلك، بخلاف الشَّرط بـ(إذا)، وقد ربطت بين نوعيْن من المعاملة جعلت أحدَهما جوابًا للآخر عند حدوثه، والجملة الشَّرطيَّة أقوى من الجملة الخبريَّة في ربطها بين جواب الشَّرط وفعلِه؛ إذ تجعل جوابَها متوقِّفًا على حصول فعلِها.

غرضُ حذفِ مفعول ﴿عَاقَبْتُمْ﴾:

غايةُ الحذف التَّوجيهُ للانشغال بالمذكورِ عنِ المحذوف

حُذف المفعولُ به للتَّعميم ليعمَّ كلَّ من يستحقُّ وقوعَ العقوبة عليه، فأُنزل الفعلُ المتعدّي منزلةَ الفعل اللّازم لينشغلوا بالفعل عن المفعول.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَعَاقِبُواْ﴾:

العقوبةُ بالمثل، إنصافٌ وعدلٌ

الفاء رابطةٌ لجواب الشَّرط، وتقديرُه هنا: إن عاقبتم لكم الحقُّ بالرَّدِّ، فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به.

دلالةُ الأمر في قوله: ﴿فَعَاقِبُواْ﴾:

ردُّ العُدوان أوِ الصَّبرُ متروكٌ للمسلمين

الظّاهر أنَّ الأمر هنا خرج عنِ الوجوب إلى التَّخيير والإباحة؛ لأنَّه قال بعدها: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾.

بلاغةُ المشاكلةِ بين العقوبتَيْن:

ما يقعُ على المسلمين من أذًى ووبالٍ يُسمّى عقوبةً من باب المشاكلةِ

يقول أبو السُّعود: "وقد عبَّر عمّا وقع على المؤمنين بالعقاب، على طريقة إطلاقِ اسمِ المُسبَّبِ على السَّبب، نحوُ: كما تَدين تُدان، أو على نهج المشاكلةِ، والمقصودُ إيجابُ مراعاةِ العدل مع مَنْ يناصبُهم

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 20/ 288 - 289.

من غير تجاوزٍ حين ما آل الجِدالُ إلى القتال، وأدّى النزاعُ إلى القِراع فإنَّ الدعوةَ المأمورَ بها لا تكاد تنفك عن ذلك"[1]، وأضاف ابن عاشور: "فقَوْلُهُ: ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم﴾ مُشاكَلَةٌ لِـ ﴿عَاقَبْتُمْ﴾، اسْتَعْمَلَ ﴿عُوقِبْتُم﴾ في مَعْنَى عوملْتُم به، لِوُقوعِه بَعْدَ فِعْلِ ﴿عَاقَبْتُمْ﴾، فهو اسْتِعارَة، وجْهُ شَبَهِها هو المُشاكَلَةُ، ويَجوزُ أنْ يَكونَ ﴿عُوقِبْتُم﴾ حَقيقَةً؛ لِأنَّ ما يَلْقَوْنَهُ مِنَ الأذَى مِنَ المُشْرِكينَ قَصَدوا بِه عِقابَهُم على مُفارَقَةِ دينِ قَوْمِهم وعلى شَتْمِ أصْنامِهم وتَسْفيهِ آبائِهم"[2].

معنى الباء في قوله: ﴿بِمِثْلِ﴾:

الباء قد تكون للعوض أو للمقابلة بين العقوبتَيْن، وقد تكون للتَّوكيد وهي التي يسمّونها الزّائدةَ، فضلًا عن أنَّ الملابسة والملاصقة لا تنفكُّ عنها أبدًا.

المثلُ به يكون استيفاءَ الحقِّ، وهو ميزانٌ للعدل في ردِّ الفعل

معنى ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾:

الظّاهر أنَّ ﴿مَا﴾ موصولة، و﴿عُوقِبْتُم﴾ صلتُها، والغرض هنا من التَّعبير بالاسم الموصول التَّعميمُ ليشمل كلَّ معاملة أو عقوبة.

تعميمُ العقوبة، مُستوعِبٌ لكلِّ أنواعِ العقوبةِ

نكتةُ التَّعبير بـ﴿عُوقِبْتُم﴾:

تقدَّم في شرح المفردات أنَّ أصل قولنا: عاقبت الرجل: جزيته بما فعل سوءًا، وأصل ذلك أنَّك جعلت ثمرةَ عمله تَعْقُبُه، أي: تلحقه لا يفوتها، والعقوبة في الأصل عامّة في الخير والشَّرِّ وتختصُّ بالعذاب، وأمّا بناء الفعل للمفعول؛ فإنَّما هو لدفعهم للانشغال بالعقوبة عن فاعلها، فلا يهمُّ من كان المعاقِب، إنَّما يهُمُّ ما يجب عليهم أن يفعلوه.

في بناء الفعل لِما لم يُسمَّ فاعلُه دعوةٌ للانشغال بالفعل عن فاعله للعلم به

معنى الباء في شبه الجملة ﴿بِهِۦ﴾:

الباء قد تكون للسببيَّة على معنى: عوقبتم بسببه، فضلًا عن أنَّ الملابسة والملاصقة لا تنفكُّ عنها أبدًا.

تحديدُ مقابلةِ العقوبةِ بمثلها، نأيٌ عنِ الانتقام

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 152.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 335 - 336.

معنَيا (الواو) و(اللّام) في ﴿وَلَئِن﴾:

الواو عاطفة، عطفت جملةً شرطيَّة على جملة شرطيَّةٍ أخرى، واللّام في ﴿وَلَئِن﴾ هنا، موطِّئة لقسَم محذوف، فهي تفيد التَّأكيدَ.

الصَّبرُ مفتاحُ ما يرجَّى

معنى (إنْ) في سياق الآية الكريمة:

(إنْ) شرطيَّةٌ، تأتي مع الشَّرط غيرِ المحقَّق وقوعُه، أو نادرِ الوقوع أو لمن يُراد إنزاله هذه المنزلةَ، وفي مجيئها هنا خروجٌ عن الظّاهر؛ لأنَّ الصَّبر مطلوبٌ ومرغوب، فلربَّما جاءت مشاكلةً لـ(إنْ) الأولى، أو لبيان أنَّ من حقِّهم إذا وقع الاعتداء عليهم أن يردّوا، أو يصبروا، فالأمران سيّان ومتروكان لهم.

وقوعُ الشَّرط بـ(إنْ) هنا للمشاكلة مع الأولى أو للتسوية بينهما

معنى اللّام في ﴿لَهُوَ﴾ ولام الجرّ في ﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾:

اللّام واقعةٌ في جواب القسَم؛ لأنَّ جواب القسَم جملة اسميَّةٌ مثبتةٌ، وهي تفيد التَّوكيدَ، وأمّا اللّام في قوله: ﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾، فهي هنا تفيد معنى التَّخصيص، أي: للصّابرين دون غيرهم.

التَّوكيدُ يقوّي المعنى، والتَّخصيصُ يعيّنُه

نكتةُ تنكير ﴿خَيْرٌ﴾:

أفاد تنكيرُها هنا التَّعظيمَ والتَّفخيم، أي: هو خيرٌ وأفضلُ من الانتصار بالمعاقبة، والمراد هنا هو المفاضلةُ على معنى: لهو أفضلُ للصّابرين.

الصَّبرُ خيرٌ وأنقى للصّابرين

سرُّ العُدول في ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾:

المقصود بقوله: ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾، أي: لكم إلّا أنَّه عدلَ عنه إلى ما في النَّظم الجليل، مدحًا لهم وثناءً عليهم بالصَّبر، وفيه إرشاد إلى أنَّه إن صبرتم؛ فهو شيمتُكم المعروفة، فلا تتركوها إذًا في هذه القضية، أو وصفًا لهم بصفة تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة، وفيه ترغيبٌ في الصَّبر بالغٌ[1].

في العُدولِ عن خطاب الخاصَّة، إلى خطاب العموم، مبالغةٌ في التَّرغيب أحيانًا

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 491.

معنى (أل) في شبه الجملة: ﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾:

لا يُستثنى منَ الفرج والجزاء صابرٌ محتسبٌ

الظّاهر أنَّها (أل) الجنسيَّة الَّتي تفيد الاستغراق، فيكون المراد: لهو خيرٌ لجنس الصّابرين، يقول الآلوسي: والمراد بالصّابرين جنسُهم فيدخل هؤلاء دخولًا أوَّليًّا[1].

نكتةُ العطفِ بالواو للصَّبر على الصَّبر:

الرَّسولُ الأكرمُ أولى النّاس بعزائم الأمورِ، ومنها الصَّبرُ

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، الواو هنا عاطفةٌ، فالله تعالى، أمرَ نبيَّه ﷺ أمرًا صريحًا بما ندَب إليه غيرَه تعريضًا من الصَّبر؛ لأنَّه أولى النّاس بعزائم الأمور؛ لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفورِ وثوقِه به.

دلالةُ الأمرِ في فعل الأمر ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾:

على قدْرِ المقام يكونُ الصَّبرُ

الأمر هنا مفيدٌ للثَّبات والدَّوام والازدياد، كالأمر في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1]؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ ملتزمٌ بذلك متَّصفٌ به.

معنى الواو في قوله: ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾:

الصَّبرُ عطاءٌ منَ الله وخصوصيَّةٌ

الواو إمّا أن تكون حاليَّةً، والمعنى: اصبر والحالُ أنَّ صبرك لا يحصل إلّا بتوفيق الله، أو تكون الواو اعتراضيَّةً، والجملة بعدها معترضةٌ بين المتعاطفات[2].

بلاغةُ القصْرِ في قوله: ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾:

العونُ على الصّبرِ إنَّما يكون منَ الله سبحانه دون سواه

وقع القصرُ هنا بالاستثناء بعد النَّفي، وهو استثناءٌ مفرَّغ من أعمِّ الأشياء، أي: وما صبرُك ملابسًا بشيءٍ منَ الأشياء إلّا بذكر الله تعالى[3]، وهو من قصر الموصوف على الصِّفة، حيث قصر الصَّبرَ على صفة كونِه من عند الله، وهو قصرٌ إضافيٌّ.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 491.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 386، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 337.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 152.

معنى الباء في قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾:

الباء قد تكون للسَّببيَّة على معنى: بسبب ذكرِ الله، فضلًا عن أنَّ الملابسة والملاصقة لا تنفكُّ عنها أبدًا.

كلُّ عملِ المؤمنِ بعونِ اللهِ ومعيَّته

نكتةُ عطفِ قوله: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾:

الواو عاطفة، عطفتِ النَّهيَ عنِ الحزن على الأمر بالصَّبر، وهو من عطف الإنشاء على الإنشاء.

عطفُ الإنشاءِ على الإنشاء، من فصيحِ البيانِ

غرضُ النّهيِ عنِ الحزن على الكافرين:

المُراد من نهيه ﷺ عن الحزن عليهم هو الوجوبُ - كما يبدو - وذلك لوجود نصوصٍ كثيرةٍ في القرآن الكريم كانت تنهاه ﷺ عنِ التَّأثُّر عليهم، والحزنِ لأمرهم، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [المائدة: 26]، وقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: 8]، وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف: 6].

حرصُ النَّبيِّ الأكرمِ على هدايةِ قومه، كان يوقعُه في الحزن أحيانًا

نكتةُ عطفِ قوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ﴾:

الواو عاطفةٌ، عطفتِ النَّهيَ عنِ الضَّيق عليهم على الأمر بالصَّبر والنَّهي عنِ الحزن، وهو من عطف الإنشاء على الإنشاء.

الحزنُ يكبحُ الطُّموحَ

غرضُ النَّهيِ عنِ الضَّيق عليهم:

المُرادُ من نهيه ﷺ عنِ الضيق عليهم هو الوجوب - كما يبدو - وذلك لوجود نصوص كثيرة في القرآن الكريم كانت تنهاه ﷺ عنِ التَّأثُّر عليهم، والحزنِ لأمرهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ٧٠﴾ [النمل: 70]، وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ [هود: 12].

من شأنِ الحزنِ على هدايتهم أن يوقع في الضّيق

دلالةُ الموقعِ النَّحويِّ لقوله: ﴿تَكُ﴾:

قوله: ﴿تَكُ﴾: فعلٌ مضارع مجزوم، وعلامة جزمِه السُّكونُ المقدَّر على النّون المحذوفة للتَّخفيف[1].

التَّخفيفُ في اللَّفظ يأتي أحيانًا بناءً على التَّخفيفِ في المعنى

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 386.

يقول فاضلٌ السّامرائيّ: "الأصل أنَّ الحكم النّحوي هو جوازُ الحذف؛ إذا كان الفعل مجزومًا بالسّكون، ولم يلِهِ ساكن أو ضمير متصل، فتحذف النّون تخفيفًا، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ بمعنى: احذف الضّيق من نفسك، ولا تبق شيئًا منه أبدًا، أي: إنَّ المطلوب ليس فقط عدمَ الحزن، لكن مسح ونفي أيِّ شيءٍ منَ الحزن يمكن أن يكون في قلب الرّسول ﷺ فحُذِفت النّون من الفعل"[1].

سرُّ حذفِ اسم ﴿وَلَا تَكُ﴾:

اسم كان هنا محذوف، وتقديره: أنت، وحُذف تخفيفًا وإيجازًا، وربَّما كان سببُ الحذف التَّرفُّقَ والتَّلطُّفَ فيه ﷺ.

التَّلطُّف بالرَّسول الأكرم مظهرٌ لتكريمه

نكتةُ التَّعبيرِ في قوله: ﴿فِي ضَيْقٍ﴾:

حيث شبَّه إحاطةَ الضّيق به ﷺ بإحاطة الظَّرف بالمظروف، بجامع الشُّمول والاستيعاب.

مهما كان الضّيقُ، فالله يَحمي رسولَه ويَقيه

بلاغةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿فِي ضَيْقٍ﴾:

الضّيقُ مُستَعْمَلٌ مَجازًا في الغَمِّ والأسَفِ، كَما اسْتُعْمِلَ ضِدُّهُ، وهو الانْشِراحُ في الفَرَحِ والمَسَرَّةِ[2]، فشبَّه الغمَّ والأسف عليهم بالضّيق بجامع انقباض الصَّدر على سبيل الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ.

الغمُّ والأسفُ مَدْعاةٌ للضّيقِ

دلالةُ (مِنْ) في قوله: ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾:

(من) قد تكون هنا ابتدائيَّةً، وهو المعنى الذي لا يكاد يفارقها، وقد تكون بيانيَّة، على اعتبار أنَّ النَّهي يشمل الضّيق وغيره، وإنَّما ذُكر الضّيقُ للتَّمثيل، وقد تكون تعليليَّة سببيَّةً، أي: بسبب ما يمكرونَه بك.

تنوُّعُ دلالةِ حرف المعنى، يؤكِّدُ دقَّةَ اختيارِه

معنى (ما) في قوله: ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾:

(ما) قد تكون موصولةً، وقوله: ﴿يَمْكُرُونَ﴾ صلتُها، وغرضُ

بيانُ تنوُّع مكرِهم، باستعمال الموصولِ الدّالِّ على التَّعميم

(1) السامرائي، لمسات بيانيّة، ص: 648.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 17.

التَّعبير بالاسم الموصول التَّعميمُ، ليشمل صنوف مكرهم، وقد تكون مصدريَّةً، أي: من مكرهم.

نكتةُ التَّعبير بـ﴿يَمۡكُرُونَ﴾:

بيانُ قُبحِ المكرِ، وتَماديهم فيه

تقدَّم أنّ المكرَ صرفُ الآخر عمّا يقصده بحيلة، وهو هنا ملائمٌ لتدابيرهم، وتربُّصِهم بالمسلمين، وأمّا صيغةُ المضارعيَّة فتدلُّ على استحضار صورة مكرِهم القبيحة من ناحية، وتجدُّدِ هذا المكر وعدمِ انقطاعه من ناحية أخرى.

نكتةُ حذفِ مفعولِ المكر:

كـلُّ مـكـرٍ بـدرَ مـنـهـم، فـهـو مـشـمـولٌ في السّياق

تقديرُ الكلام هنا: ولا تكن في ضيقٍ ممّا يمكرونه، فحُذف المفعولُ، ليعمَّ كلَّ مكرٍ مَكَروه، ولينشغلوا بالمكر نفسِه عن غيره.

نكتةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾:

الـجـمـلـةُ التَّعليليَّةُ لا تُعطفُ على سابقتها

فُصلت هذه الآية عن سابقتها، ولم تُعطف عليها؛ لأنَّها جاءت في موضع تعليل لما سبقَ من الأمرِ والنَّهي[1]، فتكون من باب الاستئناف البيانيِّ جوابًا عن سؤالٍ مقدَّر: لِمَ كانت هذه الأوامر والنّواهي؟

وقد تكون ﴿إِنَّ﴾ هنا ليست للتأكيد، وتكون قائمةً مقام فاء التَّفريع، حيث قال فيها الشّيخ عبد القاهر الجرجانيّ: واعلم أنَّ مِنْ شأنِ (إنَّ) إذا جاءتْ على هذا الوجه، أن تُغْنِي غَناء الفاءِ العاطِفةِ مثلًا، وأنْ تُفيدَ من رَبْط الجملةِ بما قبلَها أمرًا عجيبًا، فأنتَ تَرى الكلامَ بها مستأنفًا غيرَ مستأنف، ومقطوعًا موصولًا معًا[2].

فائدةُ توالي المؤكِّدات في صدر الآية:

تتزاحمُ المؤكِّداتُ أحيانًا، كي تزيلَ عـنِ الـنَّـفـس حزنَها وضيقَها

حظيت هذه الآية ببعض المؤكِّدات وهي: إنَّ، والجملةُ الاسميَّة، فضلًا عن دلالة المعيَّة، والَّذي حسَّن دخولَ هذه المؤكِّدات أنَّ الآية السّابقة أمرتهم بالصَّبر، ونهتهم عنِ الحزن والضّيق، وهي قضايا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 153.
(2) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز: 1/ 273.

نفسيَّةٌ وتحتاج إلى ما يعزِّزها، ويثبتها في نفوس المؤمنين، فجاءت هذه المؤكِّدات كي تزيلَ من النُّفوس كلَّ دواعي الخوف والحزن.

دلالةُ دخول ﴿مَعَ﴾ في السّياق:

معيَّة الله مجازٌ عن تأييده ونصره، والمرادُ بالمعيَّة هنا الولايةُ الدّائمةُ التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيءٍ من الجزَع والحزنِ وضيق الصدر، وما يُشعر به دخولُ كلمة ﴿مَعَ﴾ من متبوعيَّة المتَّقين، إنَّما هي من حيث إنَّهم المباشرون للتَّقوى، وكذا الحالُ في قولِه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: 153] ونظائرِهما كافَّة[1].

معيَّةُ الله نصرٌ وتأييدٌ، وذلك محتوى وعدِه الصّادقِ الأكيدِ

دلالةُ التَّعبير بالاسم الموصول وصلتِه:

التَّعبير بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصلتِه يفيد التَّعظيمَ والتَّفخيم للمتَّقين، فالاسمُ الموصولُ يفيد الإبهامَ أوَّلًا، ثمَّ التَّعريفَ بعد ذلك من خلال صلته، وقد جاءت جملةُ صلة الموصول هنا جملةً ماضويَّةً، تفيد وقوعَ التَّقوى في الزَّمن الماضي؛ لأنَّها يجب أن تستقرَّ أوَّلًا في النُّفوس، حتّى يُبنى عليها ما بعدها.

التَّقوى ملمحُ التَّعظيم، ومفتاحُ الولوجِ على العظيمِ

نكتةُ عطفِ قوله: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾:

عطفتِ الآية الإحسانَ على التَّقوى؛ لأنَّ الصَّبر والتَّقوى من لوازم الإحسان، فهو من تقديم السَّبب على المسبَّب، يقول أبو السّعود: وتقديمُ التَّقوى على الإحسان، لما أنَّ التَّخليةَ متقدِّمةٌ على التَّحلية[2].

تقديمُ السَّبب على المسبَّب، من بليغِ البيانِ

بلاغةُ القصْرِ بضمير الفصل ﴿هُم﴾:

توسُّط ضمير الفصل ﴿هُم﴾ بين المسنَد إليه والمسنَد، بما يفيد قصْرَ الإحسان عليهم دون غيرهم، وهو قصرٌ إضافيٌّ.

المستحقّون معيَّةَ الله همُ المحسنون حقَّ الإحسان

نكتةُ تَكرار الاسمِ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

تكريرُ الاسم الموصولِ للإيذان بكفاية كلٍّ من الصِّلتين في ولايته

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 153.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 153.

سبحانه، من غير أن تكون إحداهما تتمَّةً للأخرى[1]، فتَكرار الاسم الموصول دلَّ على استقلاليَّة كلٍّ منهما على حدة، وأنَّه لا بدَّ لوقوع معيَّةِ اللّهِ من تحقُّق أحدِهما أو كِلَيْهما.

التَّكرارُ يفيدُ استقلاليَّةَ الصِّفتين عن بعضهما، لأهميَّة كلٍّ منهما على حدة

نكتةُ العدولِ في السّياق:

قوله تعالى: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾، فيه إيرادُ الجملة الأولى فعليَّةً ﴿ٱتَّقَواْ﴾ للدِّلالة على الحدوث، كما أنّ إيرادَ الثّانيةِ اسميَّةً لإفادة كونِ مضمونِها شيمةً راسخةً لهم[2]، فتحقَّقَ من الجمع بينهما ضرورةُ تجدُّد التَّقوى فيهم، ليتحقَّق وصفُهم بالإحسان.

بيانُ رسوخِ صفةِ الإحسان، مقابلَ تجدُّدِ التَّقوى

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿مُّحۡسِنُونَ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ باسم الفاعل الجمعيِّ هنا على تمكُّن الإحسان فيهم وتَكراره؛ حتّى بات اسمًا لهم يُعرفون به.

مَنِ اتَّصف بالإحسان عُرفَ به

المراتبُ الأربعُ الَّتي حوتها الآيات السّابقة:

بيَّن الإمام الرّازي أنَّ الآياتِ الثَّلاثَ السّابقةَ حوت أربعَ مراتبَ:

الأمرُ بالمَعْروفِ والنَّهيُ عَنِ المُنكَرِ يَجِبُ أنْ يَكون بالرِّفْقِ مَرْتَبَةً فمَرْتَبَةً

المَرْتَبَةُ الأولَى: قَوْلُهُ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ يَعْني: إنْ رَغِبْتُم في اسْتيفاءِ القِصاص؛ فاقْنَعوا بالمِثْلِ، ولا تَزيدوا عَلَيْه، فإنَّ استيفاءَ الزِّيادَةِ ظُلْمٌ، والظُّلْمُ مَمنوعٌ مِنْهُ في عَدْلِ اللّه ورَحْمَته، وفي قَوْله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ دَليلٌ على أنَّ الأوْلَى لَهُ ألّا يَفْعَلَ.

والمَرْتَبَةُ الثّانيةُ: الانْتِقالُ مِنَ التَّعْريضِ إلَى التَّصْريح، وهو قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾، وهَذا تَصْريحٌ بأنَّ الأوْلَى تَرْكُ ذَلِكَ الانْتِقام؛ لأنَّ الرَّحْمَةَ أفْضَلُ مِنَ القَسْوةِ، والإنْفاعَ أفْضَلُ مِنَ الإيلام.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 153.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 153.

المَرْتَبَةُ الثّالِثَةُ: وهو وُرودُ الأمرِ بالجَزْمِ بالتَّرْكِ، وهو قَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ﴾؛ لِأَنَّهُ في المَرْتَبَةِ الثّانيَةِ ذكرَ أنَّ التَّرْكَ خَيْرٌ وأوْلَى، وفي هَذِه المَرْتَبَةِ الثّالِثَةِ صَرَّحَ بالأمرِ بالصَّبْرِ، ولَمّا كانَ الصَّبْرُ في هَذا المَقامِ شاقًّا شَديدًا ذكرَ بَعْدَهُ ما يُفيدُ سُهولتَهُ، فقالَ: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، أيْ: بتَوْفيقِه ومَعونَتِه، وهَذا هو السَّبَبُ الكُلّيُّ الأصْليُّ المُفيدُ في حُصولِ الصَّبْرِ، وفي حُصولِ جَميعِ أنْواعِ الطّاعاتِ، ولَمّا ذكرَ هَذا السَّبَبَ الكُلّيَّ الأصْليَّ؛ ذكرَ بَعْدَهُ ما هو السَّبَبُ الجُزْئيُّ القَريبُ، فقالَ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾؛ وذَلِكَ لِأنَّ إقْدامَ الإنْسانِ على الانْتِقامِ، وعلى إنْزالِ الضَّرَرِ بالآخرِ لا يَكونُ إلّا عِنْدَ هَيَجانِ الغَضَبِ.

المَرْتَبَةُ الرّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وهَذا يَجْري مَجْرَى التَّهْديدِ؛ لِأنَّه في المَرْتَبَةِ الأولَى رَغَّبَ في تَرْكِ الانْتِقامِ على سَبيلِ الرَّمزِ، وفي المَرْتَبَةِ الثّانيَةِ عَدَلَ عَنِ الرَّمزِ إلَى التَّصْريحِ، وهو قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾، وفي المَرْتَبَةِ الثّالِثَةِ أمَرَنا بالصَّبْرِ على سَبيلِ الجَزْمِ، وفي هَذِه المَرْتَبَةِ الرّابِعَةِ كَأنَّهُ ذكرَ الوعيدَ في فِعْلِ الانْتِقامِ، فقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ عَنِ اسْتيفاءِ الزّيادَةِ: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ في تَرْكِ أصْلِ الانْتِقامِ، فإنْ أرَدْتَ أنْ أكونَ مَعَكَ؛ فكُنْ مِنَ المُتَّقينَ ومِنَ المُحْسِنينَ، ومَنْ وقَفَ على هَذا التَّرْتيبِ؛ عَرَفَ أنَّ الأمرَ بالمَعْروفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ يَجِبُ أنْ يَكونَ على سَبيلِ الرِّفْقِ واللُّطْفِ مَرْتَبَةً فمَرْتَبَةً[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الكيْدُ أقوَى منَ المكْر، وكلاهما مُستعمَلٌ في القرآن الكريم

المكر والكيد:

يقول أبو هلال العسكريُّ: "المكر مثلُ الكيدِ في أنَّه لا يكون إلا

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 289 - 290.

مع تدبُّر وفكرٍ، إلّا أنَّ الكيد أقوى من المكر، والشّاهد أنَّه يتعدّى بنفسه، والمكر يتعدّى بحرف، فيقال: كاده يكيده، ومكر به، ولا يقال: مكره والذي يتعدّى بنفسه أقوى، والمكر أيضًا تقدير ضرر الآخر من أن يُفعل به، ألا ترى أنَّه لو قال له: أقدرُ أن أفعل بك كذا، لم يكن ذلك مكرًا، وإنَّما يكون مكرًا؛ إذا لم يُعلِمه به، والكيد اسم لإيقاع المكروه بالآخر قهرًا سواءٌ علم أم لا، والشّاهد قولك: فلان يكايدني، فسُمّي فعله كيدًا، وإن علم به، وأصل الكيد المشقَّةُ، ومنه يقال: فلان يكيد لنفسه، أي: يقاسي المشقَّة، ومنه الكيد لإيقاع ما فيه من المشقَّة، ويجوز أن يقال: الكيد ما يقرِّب وقوع المقصود به من المكروه على ما ذكرناه، والمكر ما يجتمع به المكروه من قولك: جارية ممكورة الخلق، أي: ملتفَّة مجتمعة اللَّحم غيرُ رهلة"[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 508.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»